

احتلال العراق... ربحاً وخسارة

لندن الحياة - 07/06/21

بين عشرات المؤلفات والدراسات التي صدرت عن حرب العراق، يطلّ كتاب علي علاوي، مرجعاً لفهم أسباب فشل هذه المغامرة العسكرية الأميركية.

واختار المؤلف لكتابه الصادر بالإنكليزية عن دار جامعة يال للطباعة، عنواناً مثيراً ينم عن مضمون الخمسمنة صفحة من الحجم الكبير: «احتلال العراق... ربح الحرب وخسارة السلام».

وبما أن المؤلف علي علاوي انخرط في صفوف المعارضة قبل إسقاط نظام صدام حسين، فهو وظف تلك التجربة للتحدث عن الخلافات التي برزت قبل الحرب وبعدها. ولعل اشتراكه في الحكم كوزير للدفاع ووزير للمال في حكومة إبراهيم الجعفري، أعانه على توسيع دائرة معارفه بالأطراف المشرفة على تطبيق برنامج التغيير والإصلاح. وبسبب هذه الخلفية الغنية بالاختبارات، كتب المعلق البريطاني باترك كوكبيرن في صحيفة «اندبندنت» يقول: «إن الدراسة القيمة التي تضمنها كتاب علي علاوي هي أفضل تحليل للأزمة التي نشأت عن حرب العراق، بل هي أفضل محاولة لرسم انعكاسات هذه الأزمة على الشرق الأوسط وما يمكن أن تحمله في ثناياها من مخاطر وكوارث».

في حين رأى روري ماكارثي المحرر في صحيفة «ذي غارديان» ومؤلف كتاب: «لم يخبرنا أحد عن هزيمتنا» أن ما جمعه علي علاوي يعتبر مسحاً شاملاً لعملية احتلال العراق، إضافة إلى إلقائه الضوء على الأسباب الحقيقية التي أفضلت المشروع الأميركي. وفي هذا الكتاب الموثق يرفع المؤلف النقاب عن تجاهل الموقف العراقي في مرحلة الإعداد والبناء، وكيف مهد هذا التجاهل لنمو عنف الحركات الطائفية.

أما روجر أوين (جامعة هارفرد) فوصف الكتاب بلغة الثروات، فقال إنه «من الذهب الخالص، لكونه يقدم معلوماته الغنية بعملة تصلح لكل الأزمان وكل الأجيال. وبالتأكيد أنه سيكون علامة مميزة ومصدر وحي لكل الذين سيكتبون عن العراق من بعده».

يبدأ المؤلف دراسته بالسؤال عن تداعيات الانتصار العسكري السهل الذي حققته الولايات المتحدة، عقب إسقاط نظام صدام حسين، وكيف تعرضت القوة المحتلة لردود فعل مختلفة لم تكن في الحسبان. وهو يرى أن الأزمة التي ولدت بعد الاحتلال كانت نتيجة فشل المعايير الأميركية وغياب الأهداف التي انطلقت منها الحرب. وهكذا تكدست الأخطاء الاستراتيجية أثناء إدارة الأزمة، الأمر الذي انعكس على المجتمع العراقي الذي حوّل البلاد ملجأ للمتطرفين. ومع تنامي الأخطاء ومواصلة الفرق في المستنقع العراقي، اتسعت الهوة بين الشعب والقوات المحتلة بحيث أصبحت قضية ضبط الأمن هي المطلب الملح في العاصمة والمناطق. ومن أبرز العناوين التي يعالجها الكتاب بعمق وجدية، مسألة دور طهران قبل الغزو وبعده، معتبراً أن الحوار مع إيران يمكن أن يمنعها من توسيع نفوذها الاقليمي. ويرى علي علاوي أن الامتحان الحقيقي لقدرة القيادة يتجلى في كيفية الرد على هجمات الميليشيات المسلحة التي حملت أسماء مختلفة أبرزها «القاعدة».

ويتصور المؤلف أن المتمردين في العراق سيواصلون أعمال العنف القاتلة، لأن تصرفات الأميركيين في سجن «أبو غريب» وما رافقها من فضائح أخلاقية ومالية وثروات مختفية و عقود وهمية، كانت المبرر لهجرة أربعة ملايين مواطن. ومن هذه البيئة الإدارية المشوشة ولد العنف المذهبي. ومن قانون اجتثاث حزب البعث والخلافات الجوهرية حول الدستور، سقطت فكرة التوازن الوطني التي يعتبرها المصلحون معيار النجاح لأي حكومة مشتركة.

في نهاية الكتاب، لا يخفي المؤلف تشاؤمه من مستقبل العراق، ومن الاعتراف بأن الرئيس جورج بوش قد ينزل في تاريخ الولايات المتحدة كأكثر الرؤساء تخبطاً وارتباكاً. وفي مجمل الأحوال يتوقع علي علاوي أن يفقد بوش دعم الشعب الأميركي، الأمر الذي يعرض حكومة المالكي للمتعاب والتحديات المتواصلة.

ولد علي علاوي في بغداد سنة 1947. وهو ينتمي الى عائلة سياسية شاركت في صنع تاريخ العراق. وقد أهلتته كفاءته العلمية وتخصصه في الهندسة والاقتصاد من أهم الجامعات الأميركية، لأن يتبوأ مراكز مهمة في البنك الدولي والمؤسسات المالية الكبرى. وهو حالياً يشغل منصب مستشار لرئيس الوزراء نوري المالكي.